مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 2 (رت 71) السنة: 2023

اهتمامات جريدة وادي ميزاب اليقظانية بقضية التبشير وسياسة التنصير في الجزائر

The Concerns of Wadi M'zab Newspaper, over the issues of evangelization and Christianization policy during twentieth century Algeria AD

د. يمينة بن رحال[1]
جامعة محمد بوضياف– المسيلة
yamina.benrahal@univ-msila.dz

تاريخ الوصول 2022/07/18 القبول 2022/09/21 النشر على الخط 2023/01/20
Received 18/07/2022 Accepted 21/09/2021 Published online 20/03/2023

ملخص:

عملت السلطات الاستعمارية منذ الوهلة الأولى من احتلالها للبلاد عام 1830 م على إدماج الجزائر أرضا وشعبا، حيث كثفت الإدارة الفرنسية جهودها من أجل إحكام قبضتها على البلاد فاتخذت مجموعة من الإجراءات لتحقيق مشاريعها الاستعمارية التي شملت عدة ميادين بما فيها محاولة القضاء على الدين الإسلامي عن طريق سياسة التبشير والتنصير، ولقد وجد المبشرون في البلاد الظروف المواتية لتمرير سياستهم ونجاحها كانتشار الجهل والأمية والفقر ووجود الاستعمار الفرنسي الذي كان متعاونا مع رجال الدين، حيث وقف موقفا مشجعا تجاه سياسة تنصير الأهالي في الجزائر من خلال مساعدته المادية والمعنوية، غير أن علماء وادي ميزاب كانت لهم مساعي حثيثة في محاولة التصدي للمشروع التنصيري وذلك من خلال خطبهم ومقالاتهم على صفحات الجرائد التي أبانوا من خلالها أبعاد هذه الحملة وخطرها على الدين الإسلامي والمسلمين.

الكلمات المفتاحية: صحيفة وادي ميزاب – علماء – الجزائر – الشيخ أبو اليقظان – سياسة التنصير والتبشير.

Abstract:

Since the first instant of their occupation of the Algeria in 1830, the colonial authorities worked to annex Algeria: both the land and the people. Hence, the French administration intensified its efforts to tighten its grip on the country through taking a set of measures to achieve its colonial projects that included several fields among which the attempt to eliminate the Islamic religion through evangelization and evangelization. In effect, the missionaries have found in the newly colonized land favorable conditions to implement their policy and to bring it to success, such as the widespread of ignorance, illiteracy, poverty and the presence of French colonialism, which was cooperating with the clergymen. In other words, the French colonizer had done vigorous efforts to encourage position the policy of Christianizing the people in Algeria through his material and moral assistance. Nonetheless, the M'zab Valley scholars had done vigorous efforts in an attempt to confront the missionary project through their speeches and articles published on the pages of newspapers. This helped them demonstrate the ulterior dimensions of this campaign and the danger it risks to cause to the Islamic religion and Muslims.

Keywords: M'zab valley newspaper; Scholars; Algeria; Sheikh Abu Al-Yaqzan; Christianization; evangelization policy

[1] المؤلّف المراسل: **يمينة بن رحال** البريد الإلكتروني: **yamina.benrahal@univ-msila.dz**

1. مقدمة:

اتخذ الاستعمار الفرنسي منذ دخوله أرض الجزائر عام 1830 العديد من الوسائل من أجل إحكام قبضته على الوطن وأبنائه، حيث جعل من سياسة التبشير المسيحي وسيلة فعالة لمحو مقومات الشخصية الإسلامية، وإزاء هذا الوضع الأسيف ظهر رجال الإصلاح في البلاد وعلى رأسهم الشيخ أبو اليقظان الذي بين كغيره من المصلحين منذ بداية حياته الصحفية مدى خطورة ومكائد المبشرين الذين كانوا بمثابة الساعد الأيمن للاستعمار الفرنسي، حيث دعا إلى اليقظة وتنبيه الغافلين من المسلمين من الخطر الذي يحدق بهم، وكان يدعوهم من خلال صحيفة وادي ميزاب إلى الوقوف صفا متراصا في وجه المبشرين أعداء الإسلام والتصدي لمخططاتهم الهدامة.

فمن يكون يا ترى؟ ماهي أبرز الوسائل التي اعتمدها في تبليغ رسالته الإصلاحية (صحيفة وادي ميزاب 1926) وكيف كان موقفه من سياسة التبشير والمبشرين في الجزائر؟

2. التعريف بالشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى:

هو حمدي إبراهيم بن عيسى[1] المكنى بأبي اليقظان نسبة إلى الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم خامس أئمة الدولة الرستمية.[2]

ولد أبو اليقظان إبراهيم في 5 نوفمبر 1888 بالقرارة إحدى بلدات ميزاب وهي دائرة من دوائر ولاية غرداية بالجنوب الجزائري، والده الشيخ الحاج عيسى بن يحي من عشيرة البلات إماما واعظا بمسجد القرارة، اشتهر بالخلق الكريم والسلوك القويم والغيرة على الدين ومقدساته.[3] كان عضوا عاملا في المجلس الديني المعروف بالعزابة وفيه تناط جميع أنظمة البلد سواء القضايا المتعلقة بالدين أو المجتمع أو قضايا ثقافية، أما والدته فهي عائشة بنت الحاج أمحمد بن الحاج إبراهيم بوعروة من عشيرة أولاد حمو بن إبراهيم المعروفة في القرارة.

ترعرع الشيخ أبو اليقظان في بيئة ميزابية محافظة يميزها التقوى والغيرة على الدين والدفاع عنه وحبها لعمل الخير فكان لها كبير الأثر في نفسه وفي تكوين شخصيته واتجاهاتها.

درس أبو اليقظان المرحلة الابتدائية في مسقط رأسه حيث التحق بكتاب قريته. فتعلم المبادئ الأولى كالقراءة والكتابة وحفظ القرآن في كتاتيب البلدة المعروفة باسم "المحاضر" وعمره ثماني سنوات، ثم دخل دار التلميذ للدراسة على يد الشيخ عمر بن يحي فغرس فيه مبادئ الإصلاح بأقواله وأفعاله. بعدها تعلم على يد الشيخ الحاج إبراهيم الإبريكي ثم انتقل إلى بني يزقن فتعلم على يد قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، بعدها سافر إلى المشرق عام 1910 قاصدا البقاع المقدسة ثم تونس التي سافر إليها لمداواة بصره ومزاولة دراسته في جامع الزيتونة والخلدونية عام 1912.[4] وبعد عامين من الدراسة والتحصيل العلمي عاد إلى أرض

[1]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2012، ص220.
[2]- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، 1963، ص583.
[3]- محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، الجزائر، 2000، ص738.
[4]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق، ص143.

الوطن.

ولما كانت تونس عامرة باليقظة والنهضة الفكرية قام أبو اليقظان بتنظيم بعثات علمية ميزابية إلى تونس في مارس 1914[1] رفقة الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش[2] ومحمد الثميني. وكان مقرها نهج المدرسة السليمانية. وبعد عودته إلى أرض الوطن أسندت إليه عام 1915 إدارة مدرسة أنشأها أبناء بلدته فاعتنى بها وطبق فيها النظام الذي عرفه في المدرسة الخلدونية بتونس. غير أن نشاط المدرسة لم يكتب له النجاح، سرعان ما تم إغلاقها عام 1916 بسبب ظروف الحرب العالية الأولى.[3]

دخل الشيخ أبو اليقظان معترك النضال السياسي حيث انظم إلى المنظمة السرية الثعالبية سنة 1917، سرعان ما أصبح عضوا بارزا في الحزب الحر الدستوري عام 1920[4] بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي[5] وبمشاركة صالح بن يحي[6] والشيخ أبو إسحاق إسحاق إبراهيم أطفيش.

لقد كانت تونس البلد المناسب الذي أكسبه تجربة سياسية وصحفية وحرك أحاسيسه الوطنية وفيها ربط علاقات وطيدة مع طبقات المجتمع التونسي سواء أكانوا مفكرين أو قادة وزعماء سياسيين.

قام الشيخ بتنظيم ندوات أدبية، كما اتجه نحو عالم الصحافة التي تعد من أهم الوسائل تأثيرا في المجتمع حيث تمكن من إصدار ثماني جرائد وطنية إسلامية باللغة العربية في الفترة الممتدة من 1926-1938 وهي كالآتي: وادي ميزاب- ميزاب- المغرب- النور- البستان- النبراس- الأمة- الفرقان. فكان الشيخ ماهرا في هذا المجال الذي رافقه منذ طفولته مع مرحلة التعليم، حيث كان شغوفا بمطالعة الصحف والمجلات التونسية وغيرها من الصحف العربية مثل: جريدة الزهرة- اللواء المصري- وادي النيل- مجلة المنار...

كما كانت له إسهامات عدة بفكره وقلمه في كتابة الكثير من المقالات التي تعالج مختلف القضايا في الصحف التونسية

---

[1]- محمد على دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث قسنطينة، ط1، 1978، ص144.

[2]- هو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش (1886-1965) علم من أعلام وادي ميزاب تتلمذ في مسقط رأسه موطن أجداده ببني يزقن، حفظ القرآن الكريم في سن 11 من عمره، تتلمذ على يد عمه القطب الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، شد الرحال إلى تونس عام 1917 ضمن بعثة علمية ميزابية إلى جامع الزيتونة. شارك إلى جانب التونسيين في نشاطهم السياسي، انضم كعضو في الحزب الحر الدستوري. نفاه الاستعمار الفرنسي من تونس إلى القاهرة، أنشأ سنة 1925 مجلة المنهاج بمصر، كما أنه صاحب التحقيقات لكتب التراث ومصححا بدار الكتب المصرية له إسهامات عدة في المجال العلمي منها مؤلفة الدعوة إلى سبيل المؤمنين. تاريخ الإباضية.

[3]- عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص484.

[4]- حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابين في تاريخ الجزائر، مجلد 02، دار البعث، قسنطينة، (د.ت)، ص85.

[5]- هو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الثعالبي (1874-1944)، سياسي ومفكر تونسي من أصل جزائري، ولد بتونس وتعلم بها حيث درس بجامع الزيتونة ثم المدرسة الزيتونية، أسس الحزب الدستوري الحر عام 1920، ثم نفته السلطات الاستعمارية من تونس عام 1923 بقي يناضل خارج وطنه إلى أن عاد إليه عام 1937، شارك مع الليبيين ضد إيطاليا ثم انتقل إلى مصر كما شارك في المؤتمر الإسلامي بالقدس عام 1931 له إسهامات هامة في حقل الفكر والثقافة منها مؤلفة تونس الشهيدة.

[6]- هو صالح بن يحي بن سليمان بن عيسى آل الشيخ، ولد ببني يزقن بميزاب على يد قطب الأئمة الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، ثم سافر إلى تونس، حيث شارك في الحركة العلمية والوطنية والسياسية بتونس، يعد من بين أنصار الثعالبي في جهاده ضد الاستعمار الفرنسي، كان عضوا نشيطا في الحزب الدستوري الحر وفي اللجنة التنفيذية وفي لجنة الدعاية والمالية، سجنه الاستعمار الفرنسي نظرا لنشاطه الوطني، كما اهتم الشيخ بالحرب الطرابلسية توفي عام 1948.

كجريدة المنير– الاتحاد– لسان الشعب– الأمة. بالإضافة إلى الصحف الجزائرية التي كان له فيها مجالات واسعا لإبداء مواقفه كجريدة الإقدام– المنتقد– الفاروق– النجاح. كما أسس الشيخ المطبعة العربية سنة 1930[1] التي كان لها دور كبير في إرساء دعائم النهضة فهي تعد أول مطبعة حديثة باللغة العربية في الجزائر.

انضم الشيخ أبو اليقظان إلى جمعية العلماء المسلمين عام 1931 فانتخب لعضوية المجلس الإداري سنة 1932[2] وأعيد انتخابه لمنصب نائب أمين المال سنة 1934 خلفا للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض الذي كان منشغلا بتسيير معهد الحياة.

لقد كانت حياة الشيخ أبو اليقظان حافلة بالمآثر والإنجازات العظيمة متحديا بذلك كل أنواع المحن القاسية، فكانت شجاعته نادرة، وراح يواصل نضاله بروح حماسية، وصبر وثبات إلى أن أصيب بالشلل النصفي الذي أقعده في منزله مدة طويلة إلى أن وافته المنية في مارس 1973 بالقرارة مسقط رأسه[3]. تاركا وراءه تراثا فكريا ضخما أثرى به المكتبة العربية والإسلامية وهو يقارب الستين مؤلفا بين شعرا ونثرا منها ما هو مطبوع والباقي مخطوط.

3. الاحتلال الفرنسي للجزائر وسياسة التنصير والتبشير في البلاد

شهدت منطقة شمال إفريقيا نشاطا تنصيريا مكثفا في النصف الثاني من القرن 20م وكانت الجزائر إحدى بلدان المغرب العربي التي تعرضت أكثر لسياسة التنصير بعد دخول الفرنسيين إلى الجزائر عام 1830 بدليل أن الحملة الفرنسية على البلاد كانت صليبية في دوافعها وأهدافها، واتخذت من المبشرين روادا ودعاة لها من أجل إحكام قبضتها على البلاد. ويتضح ذلك من خلال تصريحاتهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين.

وقد حمل الجنيرال دي بورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر مع الجنود ستة عشر قسيسا، وكان ضمنهم الأب زكار السوري وأخ بطريك بيت المقدس، وعندما سقطت مدينة الجزائر دخلها دي بورمون منتصرا وصرّح لهؤلاء القساوسة قائلا: "إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا ونأمل أن تنبع الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع".[4] وكان في نيته أنه بعد احتلال البلاد مباشرة سيتم إرجاع الجزائر إلى حظيرة المسيحية واعتبروا ذلك رسالة حضارية ألقيت على عاتقهم.

لقد انطلقت حركة التبشير في الجزائر منذ وقت مبكر بعد دخول الفرنسيين أرض البلاد، فبدأت في تجسيد مشروعها التنصيري، ويتضح ذلك من خلال سقوط المدينة وامضاء معاهدة القصبة التي نصت على احترام الديانة الإسلامية وضمان حرية ممارستها، فقام الجنرال مباشرة بعد يومين بتنصيب الصليب يوم 06 جويلية 1830 على أعلى بناية بالقبة في حفل مهيب.[5] وهذا وهذا دليل على نيتهم الخالصة في تجسيد مشروعهم التنصيري.

لقد كان للرهبان والقساوسة الذين رافقوا الحملة الفرنسية دورا كبيرا في نشر الديانة المسيحية في الجزائر وتعبئة جند الاحتلال وشحنتهم بالروح الصليبية ويعتبر الكاردينال لافيجري أكثر الناشطين المفوضين من قبل الإدارة الاستعمارية، حيث كان حريصا جدا

[1]– محمد صالح ناصر، مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر، 2008، ص66.

[2]– يوسف بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص190.

[3]– بابا عمي، محمد بن موسى وآخرون: معجم الأعلام الإباضية، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص29.

[4]– شاوس حباسي، من مظاهرات الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830–1962، دار هومة، الجزائر، 1998، ص12.

[5]– نفسه.

على جعل المسلمين يعتنقون الديانة المسيحية وجاء ذلك في إطار ما يعرف بإعادة مجد الكنيسة الإفريقية الرومانية[1] ليكون بذلك القادة العسكريين والسياسيين قد اتفقوا على محاربة الدين الإسلامي وجعلوا من أولويات الحملة الفرنسية على الجزائر وبذلك اعتبروا احتلال الجزائر فتحا مسيحيا وبداية إعادة أمجاد الماضي وتحقيق الحلم القديم إفريقيا المسيحية. وقد صرح أحد قادتها بقوله: "إن الحرب التي نقوم بها في إفريقيا إنما هي حلقة من حلقات الحروب الصليبية."[2]

لقد اعتمدت السلطات الفرنسية في احتلالها للبلاد على رجال الدين الذين كانوا يظهرون الحماس الصليبي ويعتبرون رسالتهم حربا مقدسة يخوضونها في قلب إفريقيا وفي قلب الإسلام[3] وللقضاء على مبادئ الشعب الجزائري وتجريدهم من ديانتهم الإسلامية استعملت فرنسا مختلف الوسائل والأساليب لاستمالة الشعب إليها والرضوخ لديانتها، ولعل من الإجراءات التعسفية التي اتخذتها هي سياستها الجائرة تجاه الدين الإسلامي ومؤسساته حيث قامت بتخريب وتهديم وإحراق العديد من المنشآت الإسلامية كالزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد. هذه الأخيرة التي هدمت بعضها وحولت بعضها الأخر عن غرضها الأصلي إلى كنائس ومستودعات أو تم منحها للجيش والجمعيات الدينية الفرنسية مثل جامع كتشاوة الذي حول إلى كنيسة كتدرائية إضافة إلى مسجد السيدة ناهيك عن إبعاد الأئمة وعلماء الدين الجزائريين الذين كانت فرنسا ترى في بقائهم خطرا على سياستها الاستعمارية في البلاد.[4] مثل نفي المفتي مصطفى ابن الكبابطي عام 1843 إلى جزيرة سان مرغريت بسبب معارضته الشديدة لعملية الاستيلاء على الأملاك الدينية ونقمته على هدم المساجد وإهانة المقابر الإسلامية ولمعارضته على إدخال مادة اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية.[5]

لقد كان للكاردينال لافيجري وغيره من الأساقفة دورا كبيرا في نشر مؤسسة أوغسطين لبعث الدين المسيحي وتأسيس فرقة الآباء البيض مستغلا في ذلك الظروف المأساوية التي كانت تعيشها الجزائر من جهل ومجاعة وجفاف وبؤس وحرمان... فجهوده هذه جاءت من أجل دعم الحكومة الفرنسية وتحقيق أهدافها الاستعمارية، لذلك تم تشجيع البعثات التبشيرية والقيام ببعض الأعمال من رعاية الأيتام والفقراء من أجل تنصيرهم، وفتح المدارس لهم ونشر الصحف والمجلات الخاصة بكل جمعية تبشيرية[6]، أيضا تم فتح مراكز التعليم والتطبيب بالإضافة إلى الزيارات التي كانت تقوم بها المبشرات إلى بيوت المسلمين حيث يقمن بتوزيع الأدوية مجانا ويدخل ذلك ضمن الخدمات الإنسانية التي تستميل الضعفاء.

إن علاقة المبشرين بالاستعمار الفرنسي هي علاقة وطيدة تكاملية فنواياها مشتركة تتفق في الهدف والتخطيط ويصبان في قالب واحد وهو القضاء على الإسلام في الجزائر، أما الاختلاف فقد كان في الوسائل والإعلان والدرجة، فالعسكريون كانوا يريدون المسيحية في الجزائر ببطء ولا ضجة في حين نجد رجال الدين فقد كانوا يظهرون الحماس الصليبي ويعتبرون رسالتهم حربا مقدسة يخوضونها في المنطقة من أجل نشر تعاليم الديانة المسيحية وطمس معالم الثقافة الإسلامية قصد تفكيك وحدة الأمة الجزائرية.

---

[1]- عمار يزلي، الشعائر الدينية حق يكفله الدين والقانون، منشورات الوزارة الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010، ص191.

[2]- مصطفى الأشرف، الأمة والمجتمع، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص51.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص233.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1978، ص196.

[5]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ص103.

[6]- مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، ط1، تقديم أبو القاسم سعد الله، دار القلم، دمشق، 1988، ص52.

4. موقف الشيخ أبو اليقظان من سياسة التنصير والتبشير من خلال جريدة وادي ميزاب

يرى الشيخ أبو اليقظان بأن الإسلام دين أنزله الله تعالى عن لسان الروح الأمين جبريل على صفوة خلقه محمد صلى الله عليه وسلم باللسان العربي المبين. فقد أحاطت به أخطار جسام تمثلت في ضغط الدول الغربية عليه، ومؤامرة المبشرين ضده إضافة إلى ثورة ملاحدة المسلمين ... وغيرها[1] من الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين.

فيقول في إحدى مقالاته نشرت بصحيفة وادي ميزاب[2] بأن أوروبا أرسلت إلى بلاد الإسلام موادها السامة وغازاتها المخنقة وخنقت بها روح الإسلام وشوهت مرآته وطمست معالمه فخذرت أعصاب المسلمين وتركتهم نياما وسكارى غير شاعرين بما لحق بأنفسهم ودينهم وبلادهم[3]، كما بين الشيخ أبو اليقظان مختلف الوسائل التي وظفتها الدول الأوروبية من أجل إحكام قبضتها في الدول المستعمرة من أجل القضاء على الإسلام وتمرير سياستها وفي هذا الصدد يقول الشيخ: "...لقد هجمت على الإسلام بخيلها ورجلها وحاربته ولا تزال تحارب بكل ما أوتيت من المكر والخداع والمهارة والسياسة والدسائس وآلات التخريب والتدمير... وأرسلت جمعيات التبشير ووزعتها في أطراف البلاد طولها وعرضها كالحمام الزاجل حاملا إليها رسائل النصرانية ظاهرا والاستعمارية باطنا وأمدتها بكل ما لديها من مال وسلطان لإفساد العقيدة الإسلامية."[4]

لقد تفطن الشيخ أبو اليقظان للاستعمار الفرنسي الذي تقمص بثياب الآباء البيض والمبشرين وأدرك بأن الخطر عظيم والموقف حرج للغاية فتصدى بكل قوة وصبر لسياستهم المضرة، فكان يعلم منذ بداية عمله الصحفي بأن سياسة التبشير ماهي في حقيقة الأمر إلا قناع استعماري ظهر في ثوب كهنوتي لذلك نجده يحذر الشعب الجزائري والإسلامي من العواقب الوخيمة المنجرة من هذا الوباء الفتاك وأكد على ضرورة مجابهته والقضاء عليه من أجل حماية شخصيتنا الإسلامية، كما دعا إلى ضرورة المحافظة على مقومات الأمة العربية الإسلامية مؤكدا على أن المبشرين هم ألد أعداء المسلمين لذا وجب مواجهتهم بشتى الطرق.

لقد كانت للشيخ أبا اليقظان مواقف حازمة تجاه المبشرين المسيحين الذين تزايد عددهم في البلاد منذ الوهلة الأولى من احتلالها. فلقد عمل جاهدا على فضح مكائدهم واعتبرهم بمثابة الساعد الأيمن للاستعمار الفرنسي بدليل انتشار في البلاد

---

[1]- أبو اليقظان، الإسلام بين شقي المقراض، وادي ميزاب(88)، (1928/06/22).

[2]- تعد أولى الصحف التي أنشأها الشيخ أبو اليقظان، وهي جريدة وطنية إسلامية، صدر العدد الأول منها في 01 أكتوبر 1926، عالجت مختلف القضايا الوطنية والعربية الإسلامية بكل أبعادها وميادينها، كانت تطبع بتونس وتوزع بالجزائر، واجه الشيخ العديد من الصعوبات في أعدادها الأولى خاصة ما تعلق بالتكاليف المادية فكان يدفع نفقاتها من ماله الخاص، ناهيك عن مشاكل التوزيع وغياب وسائل الطباعة العربية التي لم تكن متوفرة في الجزائر مما اضطر إلى طبعها في تونس غير أن قرائها ومحرروها بالجزائر والتوزيع في شمال إفريقيا. وكان الشيخ محمد الثمين وقاسم بن عيسى من مساعدي الشيخ أبا اليقظان بتونس أشرفا على طبع الجريدة وتصحيحها.

تميزت الصحيفة بالجرأة وحرارة اللهجة في مخاطبة السلطة الاستعمارية الحاكمة إضافة إلى مواقفها الحازمة في معالجة مختلف القضايا الأمر الذي جعلها تعاني من دسائس الاستعمار وأعوانه من العملاء مما أدى إلى خنق أنفاسها وملاحقة ناشريها وفق قرار صادر عن وزارة الداخلية مؤرخ في 08 جانفي 1929 يقضي بتعطيل الجريدة وتحجير بيعها وطبعها وتوزيعها. للمزيد ينظر: مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص166.

[3]- أبو اليقظان، "الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون"، وادي ميزاب، ع(17)، (1927/07/21).

[4]- نفسه.

إرساليات تبشيرية واسعة النطاق مع بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد عام 1830، ووجدت الدعم المادي والمعنوي والتشجيع الكبير من طرف سلطات الاحتلال، حيث كانت تسهل لهم مهامهم في مناطق عديدة خاصة القرى والأرياف (المناطق النائية) أين تكثر مظاهر الفقر والمرض والحرمان...علما بأن سلطات الاحتلال والإرساليات التبشيرية كانتا متعاونان ومكملان لبعضهما البعض ومتفقان في القضاء على الإسلام في الجزائر.

لم يكن الشيخ أبو اليقظان بعيدا عن الأحداث أو غافلا عن مخططاتهم الجهنمية لذلك نجده ينزل إلى الميدان مكافحا ومتصديا للمبشرين وسياستهم الخبيثة عن طريق صحفه لاسيما صحيفة وادي ميزاب التي عالجت العديد من القضايا الدينية وهي تخص الإسلام والمسلمين فكانت لها مواقف حازمة شجاعة وصامدة تجاه المبشرين المسيحيين فنجدها قد فضحت أعمال الآباء البيض في الجزائر في العديد من المقالات الحماسية وكشفت عن علاقتهم الوطيدة بالاستعمار الفرنسي من أجل إحكام قبضته في البلاد وطمس معالمها الحضارية وجاء ذلك في عدة مقالات حماسية ومتنوعة مثل الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون – الإسلام بين شقي المقراض، أمات الرجال أم رفع القرآن... وغيرها من المقالات التي تميزت بالجرأة والشجاعة والإيمان بضرورة حماية الإسلام ومقاومة حملات التنصير والتبشير، وقد دعا الشيخ إلى ضرورة جمع الجهود وتنظيم الأعمال وتوحيد القوى المتنوعة. وعرض الحلول الممكنة للتغلب على الواقع المرير الذي كان يعيشه الإسلام.

وفي إحدى مقالاته الجريئة بين حالة المسلمين الأسيفة وكشف عن أسباب تقهقرهم ثم دعاهم إلى التضامن والاتحاد تحت راية الدين والوقوف صفا واحدا متراصا في وجه أعداء الإسلام ناصحا إياهم بقوله: "وحدوا صفوفكم رعاكم الله واجمعوا جهودكم وضموا قواكم وسيروا إلى الأمام بقلوب مفعمة إيمانا ونفوسا طافحة صدقا وإخلاصا فإن الحالة حرجة للغاية والأمر في شدّة الخطر".[1] وبهذا يكون الشيخ قد نبه إلى خطورة الوضع ودعاهم إلى مواجهة الخطر الذي يحدق بالإسلام والمسلمين.

لقد أكد الشيخ أبو اليقظان على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم في كل أمر وفهم الدين فهما صحيحا نقيا فيقول في ذلك "بأن الرجوع إلى أمره لا يكون بالجهل والتخاذل والتواكل ولكن يكون بالعلم والاتحاد والسعي والعمل والإخلاص".[2] ويقصد بذلك ضرورة الابتعاد عن البدع والخرافات التي تفشت في المجتمع، وبتشجيع من أعداء الإسلام قاصدين طمس معالمه الحقيقية فدعاهم الشيخ للسعي إلى فهم الدين فهما صحيحا والابتعاد عن كل ما يشوبه، وذلك بالتسلح بالعلم والتمسك بالدين الصحيح، كما يقول في هذا الصدد: "إن الإسلام في حالة احتضار ... فهو في حاجة أكيدة إلى إسعافه بالأدوية الناجعة إلى العدة اللازمة والقوة العتيدة من المال والعلم والثقافة الإسلامية..."[3]

كما دعا الشيخ أبو اليقظان المسلمين الجزائريين إلى ضرورة الفطنة وأخذ الحيطة والحذر من أعداء الإسلام وضرورة الاتحاد والتضامن وتكاثف الجهود من أجل مواجهة سياسته بقوله: "على المسلمين أن يفتحوا أبصارهم وبصائرهم فيتفانوا في طريق العلم ويتسابقوا في سبيل التضامن والاتحاد ويتنافسوا في ميادين السعي والعمل ويتزينوا بحلية الصدق والإخلاص"[4]، وكشف الشيخ عن

[1]– أبو اليقظان، "إنما المؤمنون إخوة"، وادي ميزاب، ع(116)، (1929/01/11).
[2]– أبو اليقظان، "الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون"، وادي ميزاب، ع(17)، (1927/07/21).
[3]– نفسه.
[4]– نفسه.

الطرق والوسائل التي كان يتخذها المبشرون في سياستهم لتجسيد مشروعهم التنصيري كالتعليم والتطبيب والمواساة وإنشاء الجمعيات وتأسيس المراكز الخيرية ... وهي خدمات إنسانية مسمومة من خلالها يتوغلون في عمق المجتمع الجزائري ثم يستعطفونه بتقديم خدمات تمس حياتهم اليومية بعد جذب المحتاجين والبائسين. وهنا نجد الشيخ أبو اليقظان يدعوا المسلمين إلى توخي الحذر والابتعاد عن هذه السياسة الهدامة والتي لا تخدم الإسلام خاصة وأنه لا يقبل التبديل والتغيير، فنجده يخاطب بكل جرأة وشجاعة المبشرين قائلا: "كفوا عنا أيها المبشرون إذايتكم وإفساد ديننا وأخلاقنا باسم التعليم والتطبيب ... دعونا من تعليمكم وعلموا أنفسكم وداووا أنفسكم، فقد أغنانا الله عنكم وعن تعاليمكم بالإسلام..."[1] لقد كان الشيخ أبو اليقظان على دراية بكل مخططات المبشرين الماكرة وأضرارهم ومفاسدهم وحيلهم الخبيثة فقد كشف عن ذلك عندما قال: "إننا نتتبع جميع أعمالهم ومخابرهم ونتطلع على أسرارهم ودخائلهم وكنا نتغاضى على ذلك علهم يرعون ويقفون عند حدودهم وإذا أبو التحكك بالإسلام والمسلمين فإننا سنبدي عوراتهم ونكشف للناس حقائقهم حتى يكون الناس على بينة من أمرهم."[2] كما احتج الشيخ أبو اليقظان عن وجود المبشرين بالبلاد فكان يترجى منها بكل إلحاح إلغاءها وحلها لأن دوام وجودها بين المسلمين وسلوكها مسالك مشينة فقد يؤدي ذلك إلى ما يحمد عقباه.[3]

وفي إحدى المقالات التي نشرت بجريدة وادي ميزاب نجد الشيخ أبو اليقظان قد لام المثقفين الجزائريين وحملهم مسؤولية تغلغل المبشرين في المجتمع والسبب في ذلك حسب ما ذكره في مقاله يعود إلى قلة جهودهم وعدم تحركهم لكشف أضرار المبشرين ومفاسدهم بين عامة الناس خاصة تلك الجماعات التي بدأت في التغلغل داخل الأوساط الاجتماعية فأصبحت تشكل خطرا كبيرا على الإسلام والمسلمين وفي هذا الصدد يقول: "إن الخطر الداهم على الإسلام هو جهود العلماء والمفكرين وعدم اتخاذهم التدابير اللازمة لإيقاف ذلك التيار الجارف عند حده..." كما يقول: "قد سكت الإنسان وقد يغفل وقد يتعاون بالأمر إذا كان الخطر في الخارج غائبا عنه ولا يحس به ولا يراه، أما نحن قد أصبحنا في وسط بيوتنا داخل دوائر من الحرائق تلتهب ديننا ولغتنا وعظمتنا التاريخية"، فيتساءل الشيخ بقوله: "فكيف يسوغ لنا السكوت"[4]

5. خاتمة:

وفي الأخير نقول بأن سياسة التبشير والتنصير في الجزائر باءت بالفشل الذريع رغم الترسانة البشرية والوسائل المادية التي سخرت من أجل تجسيد وإنجاح المشروع الصليبي في البلاد، والفضل يعود إلى المقاومة الثقافية التي قادها ثلة من زعماء الحركة الإصلاحية في الجزائر فلقد كانت لهم مساعي حثيثة ومواقف جريئة وشجاعة مؤمنة بضرورة حماية الإسلام والعودة به إلى ينابيعه الصافية. فالشيخ أبو اليقظان يؤمن بأن الإسلام باق برسالته النبيلة ولا يصيبه شيئا لأن الله سبحانه وتعالى أراده أن يبقى حيا عزيزا وسيبقى إلى الأبد لقوله الإسلام له رب يحميه وأرضه واسعة.[5]

---

[1]- أبو اليقظان، "افتحوا أعينكم أيها الغافلون"، وادي ميزاب، ع(111)، (1928/12/07).
[2]- أبو اليقظان، "يتقمصون في تبشيرهم بوادي ميزاب"، وادي ميزاب، ع(76)، (1928/03/30).
[3]- أبو اليقظان، "يتقمصون في تبشيرهم بوادي ميزاب"، وادي ميزاب، ع(76)، (1928/03/30).
[4]- أبو اليقظان، أمات الرجال أم رفع القرآن الكريم، وادي ميزاب، ع(119)، (1929/02/01).
[5]- أبو اليقظان، الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون، وادي ميزاب، ع(17)، (1927/07/21).

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- الإبراهيمي، محمد البشير، آثار البشير الإبراهيمي، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1978.
- الأشرف، مصطفى، الأمة والمجتمع، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- بابا عمي، محمد بن موسى وآخرون، معجم الأعلام الإباضية، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.
- بن بكير الحاج السعيد، يوسف، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983.
- حباسي، شاوس، من مظاهرات الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، دار هومة، الجزائر، 1998.
- دبوز، محمد على، أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث قسنطينة، ط1، 1978.
- دبوز، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2012.
- دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، 1963.
- زكرياء، مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.
- سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992.
- سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- الصديق، محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، الجزائر، 2000.
- مرتاض، عبد المالك، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- مطبقاني، مازن صلاح حامد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، تقديم أبو القاسم سعد الله، دار القلم، دمشق، ط1، 1988.
- ناصر، محمد صالح، مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر، 2008.
- النوري، حمو محمد عيسى، دور الميزابين في تاريخ الجزائر، مجلد 02، دار البعث، قسنطينة، (د.ت).
- يزلي، عمار، الشعائر الدينية حق يكفله الدين والقانون، منشورات الوزارة الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010.

المقالات:

- أبو اليقظان، "الإسلام بين شقي المقراض"، وادي ميزاب، ع(88)، (1928/06/22).
- أبو اليقظان، "الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون"، وادي ميزاب، ع(17)، (1927/07/21).
- أبو اليقظان، "إنما المؤمنون إخوة"، وادي ميزاب، ع(116)، (1929/01/11).
- أبو اليقظان، "افتحوا أعينكم أيها الغافلون"، وادي ميزاب، ع(111)، (1928/12/07).
- أبو اليقظان، "يتقمصون في تبشيرهم بوادي ميزاب"، وادي ميزاب، ع(76)، (1928/03/30).
- أبو اليقظان، "أمات الرجال أم رفع القرآن الكريم"، وادي ميزاب، ع(119)، (1929/02/01).